

المشعدان

بقلم الكاتب الروسي الكبير

تشيكوف

ترجمها من الفرنسية: أ.د. حامد طاهر

وضع الشاب ساشا سيمرنوف ، الابن الوحيد لأمه ، تحت إبطه شيئاً ملفوفاً في العدد 23 من جريدة أخبار البورصة ، ثم مد رقبتة ، ودخل إلى عيادة الدكتور كونشيلكوف ، الذي صاح عندما رآه:

-حسنًا يا صغيري .. بم تشعر الآن ؟ أية أخبار طيبة تحملها ؟

أغمض ساشا عينيه ، ووضع يده على صدره ، وقال بصوت خفيض :

-أمي تبعث إليك بتحياتها . وقد كلفتني أن أشكرك - أنا المابن الوحيد لها - لقد أنقذت حياتي يا دكتور .. شفيتني من مرض خطير . ونحن الماثنان لا نعرف كيف نعبر لك عن امتناننا ؟

قاطعته الطبيب :

-لا تتحدث عن هذا يا صغيري ..

استمر ساشا :

— إنني المابن الوحيد لأمي . ونحن فقراء . وبالتأكيد ، في حالة لا تسمح لنا بأن ندفع ثمن العلاج . وهذا يمزقنا يا دكتور .. ومع ذلك ، فإن أمي وأنا - المابن الوحيد لها - نتوسل إليك أن تقبل - كرمز لعرفاننا بالجميل - هذه الهدية القيمة ، من البرونز القديم .. هذا العمل الفني الرائع !

احتج الدكتور :

-إنك مخطئٌ تمامًا .. على أي شيء كل هذا ؟!

-كلا .. لو سمحت .. لا ترفض (وفتح ساشا الملف) فإن رفضك يؤلمنا ، أمي وأنا .. فهذا شيء جميل من البرونز القديم .. لقد أحضره إلينا أبي منذ زمن ، ونحن نحفظ به كذكرى عزيزة . كان أبي يشتري البرونز القديم ، ثم يبيعه للهواة .. والآن نحن نواصل هذه التجارة البسيطة: أمي وأنا ..

ثم رفع ساشا الهدية ووضعها على مكتب الطبيب . كانت عبارة عن شمعدان ، متوسط الحجم ، من البرونز القديم ، مصنوع بمهارة .

ومن القاعدة ينهض تمثالان لامرأتين عاريتين تماماً ، وفي وضع لايمكن وصفه . أما الوجهان ، فكانا يبتسمان في غنج واضح ، وعلى نحو يظهر أنهما غير قادرين على حمل الشمعدان ، وأنهما على وشك أن يقفزا من القاعدة لكي ينطلقا إلى الحجرة في رقصة عربية لا يمكن تخيلها!

وما كاد الدكتور يرى الهدية ، حتى حك أذنه من الخلف بهدوء ثم سعل ، ومخط بدون حماسة ، وغمغم قائلاً:

-أجل .. هذا في الواقع شيء جميل . لكن .. ماذا أقول .. إنه إباحي أكثر من اللازم .. إنه ليس عاريًا فقط .. بل أسوأ!!

-لأي سبب ؟

-الشیطان نفسه لا يمكن أن يتخيل ما هو أكثر شناعة من ذلك .. إن وضع مثل هذا الفحش فوق المكتب يدنس شقتي كلها!

قال ساشا مدافعاً:

-أي تصور غريب هذا الذي لديك عن الفن يا دكتور ! إنه قطعة فنية . تأمله جيداً . هذا الجمال ، وتلك الأناقة تملأ النفس بالتقدير . إنه يأخذ القلب .. ونحن بتأملنا هذا الكمال الفني ، ننسى الأشياء الأرضية .. انظر أي حركة يصورها ، وأي تعبير دقيق يكشف عنه !

قاطعه الدكتور

-إنني أفهم كل هذا جيداً يا صديقي . لكن لي أسرة . وأطفال يلهون هنا ، وتأتي لزيارتي سيدات محترمات ..

-بدون شك . إذا أخذنا وجهة نظر الرجل العادي ، فإن هذه التحفة الفنية ستظهر من زاوية أخرى تماماً .. لكن يا دكتور ، ضع نفسك أعلى مستوى من الشخص العادي . ثم بالإضافة إلى ذلك ، فإن رفضك الهدية سوف يؤلمنا كثيراً . أمي وأنا .. المابن الوحيد . لقد أنقذت حياتي ! ونحن نقدم إليك أعلى ما عندنا . وما يؤسفني أكثر إنما هو عدم وجود الشمعدان الآخر الذي يكون مع هذا الشمعدان: زوجاً رائعاً !

-شكراً يا عزيزي ..إنني شاكر لك من أعماقي . تحياتي إلى والدتك . ومع ذلك أرجو أن تقدر بنفسك أن أطفالى يلعبون هنا . وتأتي لزيارتي سيدات محترمات . وأخيراً .. فسوف أحتفظ به . من المستحيل أن أشرح لك السبب .. الأسباب التي ..

-لا شيء يستحق المشرح . ضع الشمعدان هنا , قريباً من فائز الزهور . آه .. خسارة كبيرة ألا يكون هنا الشمعدان الآخر . كم أنا آسف لذلك ! إلى اللقاء يا دكتور ..

بعد رحيل ساشا , تأمل الدكتور الشمعدان طويلاً , وحك من جديد أذنه من الخلف , وفكر :

"من المؤكد أنه تحفة فنية رائعة .. لكن من المؤسف أن أقذف به . ومستحيل أن أحتفظ به لدي . آه .. إنها مشكلة .. لمن أقدمه ؟"

وبعد أن فكر طويلاً , تذكر صديقه العزيز , المحامي (كريبونوف) , الذي قدم له خدمات قانونية عديدة . وقرر الدكتور :

"هذا رائع . لأنه باعتباره صديقاً , سيكون من الإحراج أن يقبل منى نقوداً على أتعابه , وعندئذ يصبح من اللائق أن أقدم له هذه الهدية . سوف أحمل له تلك التحفة الشيطانية , خاصة وأنه أعزب ومتحرر .."

وبدون وعي , ارتدى الدكتور ملابسه , وأخذ الشمعدان , وذهب إلى كريبونوف . وعندما وجده صاح :

-مرحباً يا صديقي الأثير . ها أنا ذا .. جئت أشكرك على خدماتك الجليلة لي . أنت لا تقبل النقود منى . حسنً .. اقبل إذن هذه التحفة . هالك أيها العزيز ..

وما أن رأى المحامي الشمعدان , حتى صاح بحماسة :

-أوه .. إنه مشهور !

ثم استغرق في الضحك قائلاً :

-هذا ما يحول قديساً إلى ملعون! رائع! بديع! أين عثرت على تلك الجوهرة؟
ثم بعد أن عبر عن حماسه، ألقى المحامي نظرة خوف ناحية الباب ثم اقترب من الدكتور قائلاً:

-فقط يا رفيقي، أرجوك أن تحمل هديتك، فإنني لا أريدها.

وهنا صاح الدكتور:

-لماذا؟

-لأنني أستقبل أُمي هنا. وكذلك الزبائن.. ثم.. ثم إن هذا مزعج بسبب المخادمة.

-كلا.. كلا.. سوف يكون هذا العمل غير ودي تماماً من جانبك. إنه غنه تحفة. انظر هذه الحركة.. وهذا التعبير.

— كفانا جدالاً.. فإنك تهينني.. لو كان له فقط بعض الملابس.. أو حتى ورقة عنب تستره!

لكن الطبيب هز رأسه، وأسرع بالاختفاء من شقة كريبونوف، سعيداً بأنه قد تخلص من هديته، وعاد إلى منزله.

لكن المحامي عندما خلا لنفسه، وراح يفحص الشمعدان، ويتحسس من جميع النواحي، على غرار ما فعل الطبيب، وفكر ملياً:

"ماذا يفعل بتلك الهدية؟ إنها في الواقع تحفة رائعة. ومن المؤسف التخلص منها. لكن الاحتفاظ بها مع ذلك غير لائق. الأفضل إذن أن أقدمها لأحد. الليلة أقدمها هدية إلى الممثل (شايفن). فهو الشخص الذي يحب التحف التي من هذا النوع. وسوف يكون هذا عملاً في موضعه، حيث أنه سيقدم الليلة عرضاً مسرحياً خاصاً به.."

استقر المحامي على تلك الفكرة. ثم قام بتغليف الشمعدان بعناية، وقدمه إلى الممثل شايفن. وطوال السهرة، ازدحمت غرفة الممثل

بالأصدقاء الذين راحوا يبدون إعجابهم بالهدية . ومن بين الزحام , سمعت تعليقات حادة , وضحكات مكتومة تشبه صهيل الخيل ..

وعندما اقتربت ممثلة من باب الغرفة , وسألت: هل يمكن الدخول ؟ اندفع صوت الممثل المبحوح:

- كلا .. كلا يا عزيزتي .. أنا غير مرتد ملا بسي .

وبعد العرض , هز الممثل كتفيه , وفرد ذراعيه , وقال:

- حسنًا ! اننى أستقبل فنانين . وليست هذه صورة فوتوغرافية حتى يمكن إخفاؤها في دولاب!

ونصحه عامل الماكياج قائلاً:

- إذن بعه يا سيدي .. هناك في القلعة امرأة عجوز تشتري البرونز القديم اذهب إلى هناك واسأل عن السيدة سيمرنوف .. الناس كلهم يعرفونها .

استمع الممثل إلى النصيحة .

وبعد يومين .. وبينما كان الدكتور كوتشيلكوف يجلس واضعاً يده على جبهته . ومستغرقاً في التفكير حول حامض المرارة .. انفتح الباب فجأة , ودخل ساشا سيمرنوف

كان يبتسم مزدهراً . ووجهه كله يوحى بالسعادة . وفي يده , كان يحمل شيئاً ملفوفاً في ورقة جريدة . وبدأت أنفاسه تهدأ:

-دكتور .. تصور مدى فرحتي .. وأية سعادة بالنسبة لك . لقد نجحنا في الحصول على الشمعدان الآخر لشمعدانك ! إن أمي سعيدة للغاية وكذلك أنا - المابن الوحيد لها - لقد أنقذت حياتي . فخذ إذن يا دكتور , خذ ..

وبارتجاف من يعترف حقيقة الجميل , وضع ساشا الشمعدان أمام الطبيب , الذي فتح فمه , وأراد أن يتكلم..

لكنه لم يستطع أن يخرج صوتاً . كان قد فقد القدرة على النطق!